الرّؤية الرّوسية للدور السّوري في سياستها الخارجية

م.د.حنان علي ابراهيم الطائي

جامعة بيان – اربيل

hanan.altaey@bnu.edu.iq

https://doi.org/10.61884/hjs.v13i50.479

ملخص :

تنبع السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا انطلاقا من المقاربات الفكرية المفسرة لتلك السياسة في البحث عن هوية ومكانة جديدة على المستوى الدولي، تسعى الى تحقيق الهدف الاساس منها والمتمثل بالحفاظ على نفوذ روسيا في منطقة الشرق الاوسط وعدم السماح بتهميش دورها على الصعيد العالمي في ظل التنافس الدولي، بعد ان كان هذا الدور يتواضع ويتعاظم وفقا لقدرات وامكانيات الدولة الروسية ، كذلك كان الدور السوري بالنسبة الى المصالح الروسية . فلطالما حازت سوريا على أهمية واضحة لدى صانع السّياسة الخارجية الرّوسية منذ العهد السّوفيتي السابق ، فالأهمية التي تتمتع بها سوريا تنطلق باعتبارها جزء من منطقة الشرق الأوسط وجزء من السياسة السوفيتية السابقة من ناحية ، وانطلاقا من تصور استراتيجي روسي الامر الذي جعل صانع القرار الروسي يتطلع لهذه البقعة بأهتمام اكبر لما لها من تاثير على مصالحها حينا ومكانتها الدولية في ضوء الصراع الجيوسياسي العالمي .

الكلمات المفتاحية: السياسة الخارجية – الدور – روسيا – سوريا- الرؤية الاستراتيجية .

The Russian perception of the Syrian role in its foreign policy

Dr. Hanan Ali Ibrahim Al-Taie

ABSTRACT

The Russian foreign policy towards Syria stems from intellectual approaches interpreting that policy in the quest for a new identity and position on the international level. It seeks to achieve the main goal of preserving Russia's influence in the Middle East region and not allowing its role to be marginalized on the global stage amidst international competition. This role has fluctuated, expanding and contracting, depending on the capabilities and capacities of the Russian state. Similarly, the Syrian role has always been significant for Russian interests. Syria has consistently held clear importance for Russian foreign policy makers since the Soviet era. The significance of Syria arises from its position in the Middle East region and its historical connection to Soviet policy. This strategic perspective has led Russian decision-makers to view this region with greater interest due to its impact on Russian interests and its international standing in the context of global geopolitics.

KEY WARDS:

Foreign Policy - Role - Russia - Syria - Strategic Vision

المقدمة

إنّ تحليل ظاهرة السياسة الخارجية عملية مستمرة تُديرها مؤسسات تُعنى بصنع القرار الخارجي في ظل أهداف ثابتة ورؤية متطورة تتأثر بواقع البيئة الدّاخلية ونوعية العلاقات القائمة مع دول المحيط، ناهيك عن نوعية الأهداف التي تنشدها الدولة عبر إطار مرجعي واحد يسعى لتحقيق المصالح القومية للدولة . كما أنّ أهمية اي منطقة تتأتى في إطار ما تتمتع به تلك المنطقة من مواصفات إستراتيجية وسياسية وإقتصادية بما ينعكس بالتّالي على سلوك الدّول الأخرى تجاه هذه المنطقة أو الدولة التي تصنع تجاهها السّياسة الخارجية . مع عمق التّحولات الهائلة التي جرت على مفهوم السياسة الدولية، وضمن هذه الضوابط قامت سياسة روسيا الخارجية تجاه العالم المحيط على جملة من المبادئ الاساسية والتي يمكن ايجازها بالتالي :

1- العمل على استعادة دور روسيا اقليميا ودوليا واعادة تأكيد مجال نفوذها والتركيز على البقاء والاستمرار كقوة اقليمية ودولية .

2- إستمرار سياستها الخارجية على نهج يحقق منه مجمل مصالحها مع تعديلها وفقا لما ترتأيه التطورات .

3- حماية مصالح روسيا الحيوية والحفاظ على ثوابت الرؤية الروسية للسياسة الخارجية في ظل المستجدات السياسية والعسكرية والامنية.

اذ لم تمنع ثوابت السياسة الرّوسية في الشّرق الأوسط من إحداث تغييرات هائلة في هذه السياسة وتضع روسيا سياستها الخارجية تجاه سوريا وفقا لتلك المباديء بغض النّظر عن تغير صانع القرار السياسي في البلاد، مادام الهدف منها هو الحفاظ على نفوذ روسيا في منطقة الشرق الاوسط وعدم السماح بتهميش دورها بشكل عام بعد تداعيات مرحلة مابعد الحرب الباردة. ان الدّور الرّوسي في العالم كان يتواضع ويتعاظم وفقا لكل عصر وحسب كل مرحلة تمر بها، كذلك كانت سوريا بالنسبة الى المصالح الروسية . فلطالما حازت سوريا على أهمية واضحة لدى صانع السّياسة الخارجية الرّوسية منذ العهد السّوفيتي الذي كان الداعم لها والمساند طوال مدة الحرب الباردة في ظل إستمرار التّنافس الأمريكي – السّوفيتي، إذ انّ مدى الأهمية التي تتمتع بها سوريا باعتبارها جزء من منطقة الشرق الأوسط وجزء من السياسة السوفيتية السابقة جعل صانع القرار الروسي يتطلع لهذه البقعة بأهتمام اكبر لما لها

من تاثير على مصالحها حينا ومكانتها الدولية في ضوء الصراع الجيوسياسي العالمي .

وخاصة بعد وصول الرئيس فلاديمير بوتين الذي إستطاع استنهاض روسيا وإعادة هيكلة واقعها الداخلي سياسياً واقتصاديا لتجاوز أزماتها الداخلية ومن ثم تطوير سياستها الخارجية بشكل يصعب تجاهله، سياسة قائمة على مبدأ التّوازن في علاقاتها مع الأطراف كلها ووفقا للمباديء الثلاثة السابقة في وقت يشهد فيه العالم الإصطفافات السياسية والإقتصادية وإنكفاء واضح للقوة الأمريكية وإنتهاء تدريجي لعصر القطبية بعد فشل السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط وحروبها المأساوية في كل من أفغانستان والعراق، اتاح لروسيا المشاركة في الساحة السياسية الدولية بكفاءة ومهارة نظراً لما تتمتع به من مميزات مكنتها من أن تكون لاعباً أساسياً في المنطقة يلجأ اليه الفرقاء للعب دور الوسيط المقبول من جميع الأطراف .

إشكالية البحث :

تتركز اشكالية الدراسة في البحث عن ايجاد الصلة بين الدور السوري في منظور الفكر الاستراتيجي الروسي وبين ضمان مصالح روسيا انطلاقا من البوابة السورية، فقد استطاعت روسيا أن تلعب دوراً أكبر في قضايا المنطقة عن طريق توجيه سياستها تجاه سوريا باستعمال الوسائل الدبلوماسية والقوة الناعمة كأداة واضحة لضمان تحقيق الامن الروسي وقلب المعادلة الدولية باستخدام الازمة السورية، ليس لتأكيد نفوذها فقط، بل للتصعيد ودمج كل الملفات الخلافية مع الدول الغربية لضمان المصالح الروسية بواقعية وبراغماتية واضحة، وانطلاقا مما سبق تم طرح الاشكالية التالية : لماذا تحتل سوريا مكانة مهمة لدى صانع القرار الروسي ؟، ماهي طبيعة الدور السوري في تحقيق السياسة الخارجية الروسية؟ وكيف تم توظيف سوريا لتكون موطيء قدم لروسيا في المنطقة ؟ وماهي ابرز المصالح الروسية في سوريا في ظل الجهد الذي تبذله روسيا في الحفاظ على تلك المصالح ؟

فرضية البحث :

ينطلق البحث من فرضية مفادها، يسعى صانع القرار الروسي الى إحداث تحولات جذرية وواضحة في مسار السياسة الخارجية الروسية وفي مستوى تفاعلاتها الاقليمية والدولية, عبر رؤية واضحة بعد ادراك العلاقة الكامنة للدور السوري في استعادة مكانة روسيا العالمية.

منهج البحث :

لتحقيق الفرضية السابقة وانطلاقا من الاشكالية التي انطلقنا منها تم اعتماد منهج البحث الوصفي والتحليلي لتحقيق الفرضية في مباحث الدراسة لأنَّه يغنينا عن الاحاطة بابعادها كافة.

هيكلية البحث :

إنطلاقاً من فرضيّة البحث وإشكاليته، فقد توزعت هيكلية البحث على محورين، الاول يتناول الرؤية الروسية للدور السوري على المستوى الاقليمي، فيما شمل المحور الثاني الرؤية الروسية للدور السوري على المستوى الدولي.

المحور الأول : الرؤية الروسية للدور السوري على المستوى الاقليمي:

شهدت المنطقة العربية تحولات رئيسية لازالت تمارس تأثيراتها في نمط العلاقات الإقليمية والدولية، والتي بدأت قبل تطور الأوضاع السياسية في بعض الدّول العربية في العام2010، نظراً لسماتها التّقليدية الغالبة بأعتبارها أكثر مناطق العالم توتراً ولإفتقارها لعنصر الإستقرار، فضلاً عن أنّها لاتزال تشهد صراعات سياسية وعسكرية حادة طويلة المدى لها جذورها العميقة وإمتداداتها المؤثرة، فمنذ العام 2001 ظل الوضع في المنطقة ينذر بالسّوء ويسير في إتجاه سيناريوهات أكثر سوءاً مما كان يتوقعه محللو السّياسة الخارجية ممن إعتادوا على سرعة وطبيعة التّغيير التي تعتري هذه البقعة من الأرض في ظل التّدخلات الخارجية، التي ما فتأت تتبارى فيما بينها للإحتفاظ بما حصلت عليه من مكاسب أو لحماية حلفائهم التّقليديين وبما يصب في مصالحها القومية .

حاولت روسيا تحقيق سياسة خارجية تحقق لها بعض أهدافها ومصالحها، في ظل واقع دولي لاتنفصل فيه المصالح سواء كانت مادية أو معنوية، ومن المتوقع لروسيا الحذر والتأني في إتخاذ خطوات تعزز مصالحها وتدفع في سبيل تدعيم ركائزها، مع غياب العنصر الآيديولوجي (الذي كان منطلق السّياسة الخارجية السّوفيتية) الذي لم يعد محركاً أو دافعاً للسياسة الخارجية. فبعد ان أعاد الرّئيس فلاديمير بوتين بعض مظاهر القوة الرّوسيّة، وإعادَ فرض احترامها كقوة لها مكانتها الدولية، بعد تحسن وضعها الاقتصادي واستقراره كما أعاد هيبتها العسكرية، حتى وصلت الدولة الى مرحلة ظهرت فيه بمظهر جديد . مثلَّ واقعاً جديداً أصبح من الضروري الحفاظ عليه لحماية التوازن الدّاخلي في المجتمع الرّوسي كما كان له نتائجه على المستوى الدّولي ويتضح ذلك من الأمور الآتية[1]:

1- أصبحت روسيا دولة يمكن أن تتصرف كشريك موثوق به .

2- استطاعت إعادة تأسيس قوة إقتصادية وسياسية تستطيع منها الوقوف أمام السّياسات الأمريكية (وليس مواجهتها) التي تتعارض مع مصالحها .

كان لهذا التحول أثره على السّياسة الخارجية الرّوسية، وهو التّحول الذي لخصه الرئيس فلاديمير بوتين بالقول:(**إنّ توازن القوى، أي عدم تفرد قوة معينة، يوفر أفضل الظروف لتحقيق الأمن والإستقرار في العالم**)[2]. وإنطلاقاً من هذه المعطيات بدأ صانع القرار الروسي يدرك حجم الأهمية التي تتمتع بها سوريا من قراءة الموقف الروسي الثابت تجاه الأزمة السورية التي باتت متشعبة بكل تفاصيلها والقوى الداخلة في تحديدها .

إن مسالة الثوابت التي قد تكون موجودة في أي سياسة خارجية، لاينبغي أن تُطرح إلا مع قدر كبير من الحذر، لأن من ابرز أساسيات تحقيق السياسة الخارجية للدولة هو تقدير حجم طموحاتها المستمدة من مجتمعها الداخلي نفسه، تركيبته الإجتماعية، رؤاها الآيديولوجية، ومصالحها القومية من جهة، وعلاقة توازن القوى الموجود بين القوى الإقليمية والدولية والتي تخضع هي بذاتها لتغييرات مستمرة وفقاً لرؤية وإدراك صناع القرار ومجموعة المؤثرات المحيطة به، التحليل موصول للعلاقة بين روسيا وسوريا وسبب توجهات الاولى بما لايترك مجالا للشك ان سوريا باتت إحدى ثوابتها في الشرق الأوسط، وبوابة يمكن أن تشكل دوراً في تحديد مكانتها وسياستها إقليمياً ودولياً ووفقاً للمستويين التاليين إقليمياً ودولياً .

أولاً: على المستوى العربي

تُعد سوريا -تاريخيا وجغرافيا- من دول المنطقة المهمة على المستوى السياسي والإستراتيجي، الأمر الذي لايمكن لأي طرف إقليمي أو دولي نكرانه، ولإدراك جميع القوى إنّ من يقود الشرق الأوسط لابد له من السيطرة عليه لموقعه الاستراتيجي الهام في قلب المشرق العربي

(1) إيمانويل تود : ما بعد الامبراطورية، دراسة في تفكك النظام الامريكي، ترجمة : محمد زكريا اسماعيل، بيروت، دار الساقي، 2003، ص 172 .

(2) نقلًا عن ... -السيد أمين شلبي : من الحرب الباردة الى البحث عن نظام دولي جديد، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ط1 .، ص 73 .

والمشرف على البحر الأبيض المتوسط، فسوريا شكلت على مدى سنوات المسرح الأساسي لمجموعة من الإستقطابات الجيوبولتيكية الدولية على مستوى القوتين العظميين سابقاً، والتي حددت معالم سياستها الخارجية الجديدة في المنطقة قبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها، وضمن سياق هذه السياسة وضِع العامل الاستراتيجي للمنطقة، وسوريا، وعامل المصالح النّفطية دافعاً للإهتمام بها والسعي لإتباع سياسة خارجية تدخلية فرضتها بدايات إندلاع الحرب الباردة لتتحول المنطقة وسوريا الى حلبة للتنافس الأمريكي – السوفيتي .

من حيث جهة الإستقطاب الجيوبولتيكي الإقليمي، فقد كانت سوريا المسرح الأساسي بين محوري توازنات القوة عربياً منذ بداية نشوئها

أما من حيث جهة الإستقطاب الجيوبولتيكي الإقليمي، فقد كانت سوريا المسرح الأساسي بين محوري توازنات القوة عربياً منذ بداية نشوئها (المحور الهاشمي العراقي- الأردني من جهة، والمحور المصري - السعودي من جهة أخرى)، إذ عارض المحور الثاني بكل قوة قيام مشروع سوريا الكبرى الذي دعت له بريطانيا ورفضته الولايات المتحدة الأمريكية، واستعاضت عنه بمبدأ التعايش بين النفوذ البريطاني - الأمريكي الجديد في المنطقة، وهكذا تخطت بريطانيا فكرة إتحاد سوريا الكبرى، إلى مشروع الجامعة العربية كمنظمة إقليمية تحت نفوذ القوتين المتنفذتين في المنطقة[3]، من أجل إحتواء حركة القومية العربية وترسيخ الوضعية الجيوسياسية للدول العربية الحديثة الإستقلال، بينما جعل المحور الأول بزعامة الملك عبدالله قيام مشروع سوريا الكبرى بنداً ثابتاً في سياسته الخارجية، فيما رُفِض مشروع الهلال الخصيب (إتحاد سورية والعراق) الذي طرحه رئيس الوزراء العراقي آنذاك نوري السعيد[4]، والذي رُبِطّ لاحقاً أبان الحرب الباردة بمنظمة الدّفاع عن الشّرق الاوسط والذي كان برعاية الولايات المتحدة الأمريكية .

إنّ الإستقطاب الإقليمي الذي قامت على أساسه جامعة الدول العربية كان له آثاره السّلبية التي بدت واضحة على النُّخب السّياسية السّورية من حيث تعدد الولاءات وإنقسامها بين هذين المحورين،

(3) أحمد يوسف احمد (وآخرون) : كيف يصنع القرار في الانظمة العربية، تحرير: نيفين مسعد، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص 282 .

(4) المصدر نفسه، ص 283 . وينظر ايضاً: وائل محمود الكلوب : دور الارهاب في السياسة الخارجية الامريكية نحو بلدن الشرق الاوسط بعد احداث 11 من سبتمبر (2001-2009)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الشرق الاوسط، عمان، 2011، ص 112 ومابعدها .

فظهرت على إثرها أولى إرهاصات الإنقسام في أول برلمان سوري منتخب بعد حصول سوريا على إستقلالها في العام 1943، حتى غدت عملية صنع القرار السوري محكومة بشكل كبير بالمؤثرات الإقليمية العربية المذكورة وتوازنات القوة العربية داخل سوريا بعد ظهور مشكلة (التابلاين)[5]* بشكل شديد الوضوح، لأن سوريا كانت بلد عبور أنابيب النفط الوحيدة، فظهرت على إثرها تغييرات داخلية كان للمحاور الإقليمية دورها في توجيه سياسة سوريا عربيا ودوليا، مع تضافر عوامل أُخرى منها مضاعفات مابعد نكبة 1948 وبروز الفئات الإنقلابية التي شكلت عنصر حاسم بقرار التّوجه الجيوبولتيكي للدولة السورية داخل إطار النّظام العربي أو ضمن علاقاته الدولية.

* ظهرت فكرة التابلاين على اثر استشعار الامريكان باهمية موقع سورية واحتمال وجود النفط فيها اسوة بدول الخليج، فضلا عن شحنه ونقله عبر اراضيها، تبنى الفكرة (هارولد اكس) رئيس هيئة احتياطات النفط الامريكية وطرحها في 5 من شباط 1944 .

(5) ينظر .. أحمد يوسف أحمد (وآخرون) : المصدر السابق، ص 282.

في خضم تصارع القوى الإقليمية والدّولية بدأ تشكل الدّولة السّورية بشكل حقيقي بعد إنقضاء (الدورات الإنقلابية التي سار عليها النّظام السّياسي السوري منذ إستقلاله نتيجة الاستقطابات العربية)، لتتحول بعدها سوريا الى لاعب في المسرح الإقليمي والدولي وبشكل فعال في منتصف سبعينات القرن الماضي، وخاصةً بعد دخولها لبنان في العام 1976 وحتى العام 2005، وشكّل ما يمكن تسميته بالحقبة السّورية في لبنان، وبمعنى أكثر وضوحاً، تحولت سوريا من المنظور الجيوبولتيكي الى دولة ذات سياسات إقليمية فاعلة تقوم على تحديد مصالحها ومصادر تهديد أمنها واستطاعت بفعل تلك التحولات إمتلاك آليات تّفاعل تستطيع من خلالها التعامل مع حجم تلك التهديدات .

تحولت سوريا من المنظور الجيوبولتيكي الى دولة ذات سياسات إقليمية فاعلة تقوم على تحديد مصالحها ومصادر تهديد أمنها

ومنذ تسلم حزب البعث السوري السلطة في العام 1963، دأبت قياداته على صياغة سياسة خارجية تأخذ بنظر الإعتبار مصالحها المحلية، الإقليمية والدّولية للتكيف مع المتغيرات الإقليمية، بحكم العوامل الجيوسياسية التي جعل منها رافعة في التّوازنات الإقليمية، فسوريا جغرافياً دولة محاطة شمالاً بتركيا المرتبطة بتحالفات أطلسية وإتفاقات عسكرية مع (الكيان الصهيوني)، التي تحتل الجولان السّوري

ولاترتبط مع سوريا بمعاهدات سلام كالحالة مع مصر والأردن وهذا الموقع جعلها أكثر حساسية وتوجس بفعل التّدخل الخارجي، لذا دأبت على زيادة مصادر القوة والمناعة للدخول في علاقات وثيقة مع قوى خارجية (إيران وروسيا)[(6)]، التي بدأت توفر لها عمقاً ودعماً استراتيجياً، مسانداً لها دفاعياً وهجومياً في ظل تنوع وتعدد القوى الإقليمية المختلفة فكرياً وسياسياً واستراتيجياً والتي طوقت سوريا وشكلت كابحا حقيقيا لمنع قيام دور إقليمي سوري قيَّد بالتالي قدراتها[(7)].

غير أنّ هذه الوقائع لم تمنع سوريا من أن تشكل عنصر أساسي من عناصر التّصعيد والتّهدئة الإقليمية، فبعد توقيع مصر لمعاهدة السّلام مع (الكيان الصهيوني) تمّ تحييد دورها طوال مدة إنشغال العراق في حربه مع إيران والتي إستمرت الى مايقارب الثّمان سنوات، لينتقل مركز القوة العربي بعدها الى سوريا باعتبارها ثاني أكبر قوة عسكرية مواجهة (للكيان الصهيوني)، وبوصفها راعية للقوى الأساسية المقاومة للإحتلال الصهيوني في كل من لبنان وفلسطين[(8)] ، استطاعت بمساعدة الولايات المتحدة من التحكم في مسار التفاعلات في لبنان ثمناً للخدمات التي قدمتها الحكومة السورية لأمريكا أثناء دخولها في التّحالف الدّولي ضدَّ العراق بعد إحتلاله للكويت 1990، كنوع من الغطاء الشّرعي العربي لضرب العراق وإخراجه من الكويت وفقا للرؤية الامريكية، في مقابل حصولها على مساعدات مالية تساعدها على الخروج من أزمة عزلتها التي فرضتها الأحداث الدّاخلية العربية وإنحسار القوة السّوفيتية في المنطقة على إثر تفكك الأخير وإنهياره .

في المقابل بدأت سورية على تقوية تحالفاتها الإقليمية مع القوى الاقليمية، فتحالف روسيا مع إيران ساعدها على التحكم في مسار تفاعلاتها الداخلية في لبنان وقوى الرفض الفلسطينية، ومساعدة النظام السياسي السابق في العراق على كسر طوق الحصار الذي فُرض عليها طوال التسعينيات من القرن الماضي بتصدير النفط وفتح الطرق التجارية أمامه، وإحتضان مايسمى وفقا لرؤية النظام السوري(المقاومة العراقية) بعد العام 2003 وغضّ النظر عن تسلل تلك العناصر من

(6) رايموند هينوش : سورية ثورة من فوق، ترجمة د. حازم نهار، مراجعة : رضوان زيادة، ط1، بيروت، رياض الريس للنشر، 2011، ص 111 ومابعدها .

(7) Daniel Pipes: Damascus Courts the West (Syrian Politics 1989-1991) , policy paper, Washington Institute For East Policy, No.26, 1991.p 32

(8) عقيل سعيد محفوظ : سوريا وتركيا : الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص ص 150 - 151 .

وإلى العراق اعتبر هذا الاسلوب حافز أمدها بقدر كبير من المرونة والتّحاور مع القوى الإقليمية والدّولية المؤثرة انطلاقا من موقع الممسك لبعض خيوط اللعبة وممارسة الضغط المطلوب على أمل الحصول على بعض الإمتيازات[9]. إنّ نجاح الحكومة السورية بامكاناتها الدبلوماسية والعسكرية، وتعاملها مع الأزمات زادّ من خبرتها وقوتها في العمل السري مع استمرار جهوزيتها واستعدادها للأزمات وهو ما دفع بعض القوى الإقليمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وأثناء حرب تموز 2006 ضد لبنان، للمسارعة بالقضاء على مكتسبات المقاومة التي يمثلها حزب الله والتي حصلّ عليها نتيجة الدعم السوري[10].

لقد دفع الواقع الجديد الإدارة الأمريكية وأجبرها على تغيير اسلوب تفكيرهم تجاه سوريا عبر إتباع إسلوب الحوار وطلب المساعدة من سوريا للضغط على حزب الله، عبر إرسال نانسي بيبلوسي رئيس مجلس النواب الامريكي، في عهد الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش الأبن، الى سوريا بدلاً من زيارات وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن باول الضاغطة والمستفزة بعد إحتلال العراق، وهي ذات الأسباب التي دفعت بعض الدول لممارسة ضغوط على قوى دولية بهدف عزلة سوريا، تلك العزلة التي لم تؤدِ سوى الى تثبيت مكانة سوريا الإقليمية التي ميزتها وأثبتت للجميع أن أي من تلك القوى لايمكن أن تلعب دوراً بمعزل عن الأخذ بنظر الإعتبار(الوجود السوري لاسباب جيوبولتيكية وسياسية، تاريخية واجتماعية)[11]، بدليل الدور الكبير الذي مارسته سوريا لحل الأزمة اللبنانية التي نشأت بعد التجديد للرئيس اللبناني السابق أميل لحود في العام 2007، وهو ما أكده وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل أثناء دعوته لسوريا (**الى أن تكون الأساس في حل المشكلة اللبنانية**)، وهو مايُعد إعترافاً رسمياً عربياً بدور سوريا المهم في المنطقة، نافياً وجود محاولات لعزلها بالقول : (**لم ارَ ابداً أية محاولة من أي طرف عربي لعزل سوريا ولايمكن عزلها بأي حال فهي قلب الأُمة العربية ونأمل أن تساهم بحل المشكلة اللبنانية)**[12]، هذه الأزمة التي لم تنبع من غياب المصالح السورية

(9) Daniel Pipes: Damascus Courts the West (Syrian Politics 1989-1991), op.cit, p32.

(10) محمد سلمان ابراهيم : المشروع الصهيوني بين واقع الوجود وحتمية السقوط، مجلة الفكر السياسي، العدد 32، سنة 11، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، خريف 2008، ص 135 .

(11) نقلًا عن حديث للرئيس بشار الاسد لصحيفة سعودية على الرابط التالي: www.syria-news.com/readnews.php?sy

(12) نقلًا عن .. صحيفة القدس : الاسد يعرب عن استعداه للمساعدة في حل الازمة اللبنانية، لندن، 29 من مارس 2008 . على الرابط: www.alquds.com/news/article/view/id/13523

اللبنانية وإنما من الوجود الموضوعي لمصالح قوى كبرى جيوسياسية أقليمية ودولية تقضي بعدم استمرار العلاقة بين البلدين بشكل جيد وبضرورة فصل المسارين اللبناني السوري الذي حرصت سوريا على إستمراره[13]. تعود الأزمة التي حصلت بين سوريا ولبنان كنتيجة للإختلال الحاصل في المعادلة الجيوستراتيجية وتبدل موازين القوى الإقليمية، بسبب النّزاع الحاصل على السّاحة العربية بين النّفوذ العربي ممثلا بالمملكة العربية السعودية والنفوذ السياسي التقليدي المدعوم من سوريا، وكذلك باعتبارها نتيجة مباشرة للضغوط الدولية على سوريا في إطار ترتيب الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط وفقاً لمصالح تلك القوى وهو ماثبتت صحته على أرض الواقع في السنوات اللاحقة من تداعيات الأحداث السياسية في المنطقة[14]*. ومن الواضح أنّ السّياسة الخارجية الأمريكية بدأت تتطلع في عهد المحافظين الجُّدد الى إعادة رسم الخريطة السّياسية والجّيوسياسية للمنطقة بما يتناسب وتطلعاتها، ولاشك أن نظرية الفوضى الخلاقة وضِعت لتخدم أهدافها في التَّغيير، لكن في مجالات محددة ومراحل زمنية مختلفة كما يشرحها المحلل السياسي»جيل دورونسورو» بالقول:(**تتضمن نظرية الفوضى الخلاقة إستغلال عناصر داخل المجتمع تتطلع الى التغيير ودعمها عبر تحريك الإعلام المحلي والعالمي وإختراع رمز يمكنهم التوحد حوله، وزيادة الضغط الدولي تجاه القوى التي يعارضونها**)[15]، وتُعد الخلافات اللبنانية السورية المثال الأبرز لتطبيق هذه النظرية . وثمة من يبرر حصر استخدام هذه السياسة بهاتين الدولتين فقط، لإختلاف هاتين الدولتين عن باقي دول المنطقة من ناحية ترابطهما الإجتماعي والإقتصادي والسياسي، كما أنّ نظام الحكم فيها كان على الدوام معادياً للمشروع الامريكي، بالتالي فان الولايات المتحدة كانت بحاجة الى سياسة أخرى تتضمن قلب النظام السياسي في سوريا والتأثير في توازناته الداخلية .

أنّ السّياسة الخارجية الأمريكية بدأت تتطلع في عهد المحافظين الجُّدد الى إعادة رسم الخريطة السّياسية والجّيوسياسية للمنطقة بما يتناسب وتطلعاتها

ضمن إطار هذه المعطيات حاولت روسيا بناء رؤية محددة تجاه

(13) صحيفة القدس،فلسطين، 29 مارس 2008 .

* لقد كان من الواضح جداً ماقامت به الولايات المتحدة الامريكية من الربط بين القرار 1559 وبين قانون محاسبة سوريا، أنّ هناك أمراً كان يتم التحضير له لإرباك سوريا، وخلق نوع من الأوضاع تستطيع من خلالها الضغط على لبنان لفصل علاقاتها عن سوريا بدليل التصريحات التي أعلن عنها كل من وزير خارجية الكيان الصهيوني سلفان شالوم ووزير الدفاع شاؤول موفاز، بعد القرار 1559 بالقول (لبنان هي الدولة الثالثة التي سنوقع معها معاهدة السلام) . لقد هدف المخطط الامريكي لخلق صدام بين الدولتين مما يعطي الذريعة لها بالتدخل في سوريا باعتبارها دولة متمردة خلافاً لما نص عليه الفصل السابع من ميثاق الجمعية العامة للامم المتحدة

(14) نقلًا عن ..هادي قبيسي : السياسة الخارجية الامريكية .. بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص ص 59-60 .

(15) نقلًا عن ... هادي قبيسي : مصدر سبق ذكره، ص 58-59 .

المنطقة تنطلق وفقاً لهذا الأساس، للعمل على تحقيق تعاون وثيق مع العالم الإسلامي يكون دور الأخيرة فيه كنوع من الفضاء المستوعب للسياسة الروسية التي تأمل بعض الأطراف الموجودة في المنطقة أن تتغلب فيها على السياسة الأمريكية وباعتراف الجميع[16]، حتى بدت مشاركة الرّئيس بوتين في مؤتمرات المنظمات الإسلامية من الخطوات الفعالة التي تمخض عنها قبول روسيا بصفة مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي، خلافاً للسياسة الأمريكية الرامية الى تطوير الديمقراطية الغربية ونشرها للإطاحة بالأنظمة العربية التي لاتتماشى سياساتها مع المصالح الأمريكية، وقد انتقد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين السياسة الأمريكية التي تقوم على تغيير الأنظمة في منطقة الشرق الأوسط بالقول :(**إن هناك من يظن إنه من الممكن إحلال السّلام والهدوء في المنطقة عبر فرض نمط معين عليها، وهو نمط يروق لهم ويعتقدون إنه نمط ديمقراطي .. لكن الأمر ليس كذلك .. لايمكن فعل شيء من دون الأخذ بعين الإعتبار تاريخ البلدان وتقاليدها وخصوصيتها الدينية وخاصة خلال فرض شيء من الخارج**)[17]. من هنا يمكن القول:إنّ الرئيس فلاديمير بوتين قد بعث الحياة في دور روسي جديد بدأ بمشروع " عودة روسيا بالتدريج الى الشرق 2008-2000 " باتجاهات مختلفة وسيناريوهات وآفاق جديدة في المناطق التي لايزال البعض يصف سياسة الرئيس بوتين فيها (بأنها سياسة محفوفة بالمخاطر و المجازفات)، ومنها بشكل خاص الموقف الروسي تجاه سوريا، حتى في ظل الأحداث السّياسية الجديدة التي تمر فيها سوريا بعد موجة الإحتجاجات التي إجتاحت بعض الدول العربية، والتي لايرى الروس فيها أي نوع من المواجهة أو التّضاد مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما أشار اليه وزير الخارجية الرّوسي الحالي سيرغي لافروف عند تأكيدّه بالقول:(**إنّ الإلتزام بمبدأ تعدد المقاطع في سياسة روسيا الخارجية يعني شيئا واحداً، إنّ كل مقطع بالنسبة الينا هو ذو أهمية بحد ذاته)**[18](*).

وتماشياً مع هذا النّهج في منطقة الشرق الأوسط وبشكل خاص مع حلفائها والبلدان المحددة من الولايات المتحدة الأمريكية بالدول

(16) س . غ لوزيانين : عودة روسيا الى الشرق الكبير، ترجمة هاشم حمادي، دمشق، دار المدى، ط1، 2012، ص 30 .

(17) نص المقابلة التي اجرتها شبكة قناة روسيا اليوم مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، 2012، ص 2 .على الرابط التالي: http://arabic.rt.com/news/g18096

(18) (*) نقلًا عن س . غ لوزيانين : عودة روسيا الى الشرق الكبير، المصدر السابق، ص 35 .

المارقة، كانت عودة روسيا الى الساحة الإقليمية والدولية عبر البوابة السّورية التي ينظر اليها الرّوس على إنّها من "هوامش روسيا " أو " الخارج القريب" . كما أنّ دعم سوريا بات بالنسبة لروسيا خياراً عملياً " **وفقاً لنهج السياسة الخارجية متعددة الإتجاهات والبراغماتي لدعم حلفائها**"[19]، فهي بهذا الدعم عملت أولًا على تعزيز دور الدولة على المستوى الدّاخلي أولاً، فيما مثل إستخدام حق الفيتو في مجلس الأمن وسيلة معارضة، للسياسة الأمريكية واستخدامها للقوة في إنتهاك سيادة الدول، لصالح روسيا كجزء من إستراتيجية تهدف الى إثبات حقيقة أنّ الغرب لايحدد أولويات ومبادىء العالم بعد التغيير الذي طرأ على الوضع الجيوبولتيكي للمنطقة، من تراجع للدور الأمريكي على حساب تشجيع ظهور قوى إقليمية، ناهيك عن التّضارب في تقديرات أهمية المنطقة والبحر الأبيض المتوسط في الآونة الأخيرة،وهي مجموعة إعتبارات يرى القادة الروس أنها تحقق لهم أمرين[20]:

1- أهمية اقتصادية تتعلق بتجارة السّلاح وأمن الطاقة .

2- أهمية استراتيجية لها علاقة بالأمن القومي الرّوسي إذ أنّ حصولها على ميناء طرطوس يعني بشكل أو بآخر منع إكتمال الطوق العسكري-الصاروخي الغربي الممتد حتى تركيا، باعتبارها إحدى ركائز حلف الناتو الموجودة لهذا الغرض .

ونظراً للميزة النسبية التي يمكن أن تتمتع بها روسيا في مجال النفط والغاز الطبيعي، بدأت تُشكل ورقة ضغط مستقبلية في حالة تَشكُّل كارتات عالمية للطاقة من الدول المصدرة للنفط، الخليجية خاصةً، وبالتالي التحكم في إمدادت وأسعار المحروقات[21]، ناهيك عن الموقع الذي يمكن أن تستغله قوى موالية للغرب ولبعض الدول الخليجية المنافسة لروسيا، قطر على سبيل المثال، لإمداد خطوط الطاقة والغاز الى أوربا مما يعود بنتائج عكسية على المصالح الروسية، من هنا تسعى روسيا لإيقاف أي مخططات جديدة تسهم بها أي قوة كانت لإعادة رسم المنطقة جغرافياً وسياسياً عبر إضعاف بعض القوى الإقليمية العربية، كسوريا ومصر[22](*)، وخلق كيانات ضعيفة يسهل توجيهها لاتشكل خطراً على مصالح تلك القوى .

(19) Camilla Committer: When Domestic Factors Prevail: upon Foreign Ambitions Russia's Strategic Game in Syria, Working Papers , ISSN, No12,26 October, 2012, p5-6.

(20) يحيى سليمان قاسم : روسيا والأزمة السورية، مصدر سبق ذكره، ص 63 .

(21) Tuguce Varal : The Russian Foreign Energy Policy , Kocani, European Scientific Institute , EGALITE , 2013, p 43.

(22) (*) بشار الجعفري، مؤتمر صحفي في جنيف على اثر مؤتمر جنيف الثاني الخاص بالازمة السورية، قناة الاخبارية السورية في 22 من يناير/ كانون الثاني 2014، إنصات شخصي .

إنّ تدخلاً أمريكياً في سوريا قد يكون مقدمة « لصوملتها « وتفتيتها لإخراجها من المعادلة الإقليمية، وفق إستراتيجيات مخطط لها في الفكر السياسي الأمريكي ويجري تحقيقها على أرض الواقع[23]، بعد ان كانت فاعلاً رئيسياً ومهماً في المنطقة، لفتح الباب أمام ملفات جديدة للظهور والتأزم تمهيداً لنوع جديد من التدخل قد يصل الى الحدود الروسية وهو ما تخشى روسيا حدوثه، وهذا يثبت أنّ التغيير الجيوسياسي في المنطقة سيحدث عبر البوابة السورية وليس عبر العراق كما توقع وزير الخارجية الأمريكي السابق «كولن باول»، بينما تُعد الأزمة في سوريا طبقا لوجهة النظر الروسية هي الفرصة الوحيدة لروسيا لإستعادة دورها في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، لهذا دفعت روسيا بكامل ثقلها وبشتى الوسائل للعب دور مؤثر في إطار رؤية أكثر توازناً وعدالة, مما يبرز خفايا السياسة الروسية في استثمار الملف السوري بدليل إصرار روسيا على حل الأزمة سلميا وعبر الحوار معها أولاً، وفي ظل إدراك صانع القرار الروسي لحجم وتأثير القوى المؤثرة في سوريا بعد الأزمة، فقد تمَّ التعامل وفق هذا الأساس، ولذلك فإنّ الساسة الروس عملوا على المناورة لخلق قوى سياسية جديدة في سوريا تجمع بين النظام القائم، وبعض قوى المعارضة المعتدلة الداخلية والخارجية بحيث يؤدي في النهاية الى تحقيق أحد الأمور التّالية:

(23) قارن مع ... هادي قبيسي : السياسة الخارجية الامريكية، مصدر سبق ذكره، ص 60 ومابعدها .

تُعد الأزمة في سوريا طبقا لوجهة النظر الروسية هي الفرصة الوحيدة لروسيا لإستعادة دورها في الشرق الأوسط وشمال افريقيا

1- الخروج من الأزمة بعد فرض وقف العنف .

2- المحافظة على زخم العلاقة مع روسيا .

3- الظهور بمظهر القوة المؤثرة اقليمياُ ودولياً بعد نجاحه في تثبيت الوضع في سوريا .

ثانيا: على مستوى الصراع العربي – مع (الكيان الصهيوني)

بما أنّ سوريا تمثل جبهة مقابلة ومعرضة للتهديد بسهولة من إسرائيل، لأنّها في خط المجابهة الأول مع (الكيان الصهيوني) والدول الكبرى الداعمة لها والعازمة على تنفيذ مخطط الهدف منه العمل على إفراغ المنطقة من

القوى العسكرية والسياسية حفاظاً على وجود (الكيان الصهيوني)[24]. فواقع الحال يشير إلى (أنّ سوريا والكيان الصهيوين تؤثران على مستقبل المنطقة)[25]، ورغم تسليمنا إنّ القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي – الصهيوني، فأنه من الصعب التّوصل الى تسوية عادلة وشاملة في الشرق الأوسط دون أن يكون لسوريا دور كبير في العملية [26]*، التي كان لوجود الاتحاد السوفيتي عامل أساسي وراء رفض سوريا المشاركة في أي مؤتمر للسلام مالم يتعهد (الكيان الصهيوني) مسبقاً بالإنسحاب من الجولان، لكن منذ تولي الرئيس ميخائيل غورباتشوف الحكم تبنّى الاتحاد السّوفيتي سياسة مختلفة جذرياً تجاه الصّراع أدت الى إنفتاح الأخيرة على (الكيان الصهيوني)، خاصةً بعد تأكيدّ ميخائيل غورباتشوف إنّ المصالح السّوفياتية وليس العربية هي الموجه الأساس للسياسة الخارجية السّوفيتية بشكل سهل بالتالي هجرة اليهود السوفيت الى (الكيان الجديد)

لقد إرتبط التصميم العملي للتفكير الجيوبولتيكي للدولة السورية الى حدٍ كبير بالقواعد الجيوسياسية التي قام بها الرئيس الراحل حافظ الاسد (1970-2000)، عبر بناء السياسة السورية على تلك الأسس، وفي مقدمتها النّظر الى الساحات الجغرافية الواقعة وراء حدود الدولة باعتبارها مصادر محتملة لتهديد أمنها القومي، فيما شكلّ (الكيان الصهيوني) محور الخطر الإستراتيجي على الأمن القومي للدولة السورية، التي أُعيد بناءها في مرحلة الرئيس السوري الأسبق حافظ الاسد مع ما إستتبع ذلك من ربط الأمن القومي السوري بالأمن القومي العربي في اطار الصراع العربي-الصهيوني[27]، والتي تحولت سوريا في ظلها الى دولة إقليمية توظف الهوامش المتاحة للحركة في ظل تنافسات القوى العظمى والأقليمية لصالحها لتتبنى ومنذ العام 1976 « بعد الازمة اللبنانية _مبدأ _ لاصداقات دائمة ولا عداءات دائمة «، وهو المبدأ الذي عبّر عنه الرّئيس الراحل حافظ الأسد بالقول:(**في السياسة الخارجية لايوجد حب ولا حقد أبديان، ولكن فقط مصالح دائمة على هذه القاعدة يتوجب علينا أن نعامل الدول الخارجية على ضوء**

(24) مفيد عرنوق : أضواء على الصراع العربي – الاسرائيلي، مصدر سبق ذكره، ص 141 .

(25) محمد عبد القادر : استراتيجية التفاوض السورية مع إسرائيل، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1999، ط1،ص 10.

* طوال فترة الحرب الباردة وقيام الحروب العربية – الاسرائيلية كان الاتحاد السوفيتي على الدوام الى جانب العرب سيما سوريا فقدم لها كل اشكال الدعم العسكري والسياسي والدبلوماسي، وكان يُعد كابحاً لسوريا ومؤثراً على مواقفها بشأن التسوية مع طوال تلك العقود

(26) ينظر :

- Talal Nizameddin: Towards National Foreign Policy : Russia and the Middle East 1991-1996, University of London , School Of Slavonia and east European Studies , 1997, p 19-30.

(27) أحمد يوسف أحمد (وآخرون) : كيف يصنع القرار في الانظمة العربية، مصدر سبق ذكره، ص 285 .

دعمها أو معارضتها لمصالحنا القومية ... إنّ سياستنا الخارجية يجب ان تظل في منأى عن التشنجات ومن الطفرات المزاجية)[28]، إذ تحول الرّيع السّياسي في سوريا الى ريع اقتصادي جسّدَّه بلوغ نسبة النُّمو الاقتصادي على عهد الرّئيس حافظ الاسد الى (8-9 %) غير أنّه ماكان من الممكن بناء القواعد الجيوبولتيكية الجديدة للدولة السورية من دون التفاعل مع التاريخ، فقد قامت فروض دائرة صنع القرار الإستراتيجي السّوري على معطيات تهميش الدور المصري في الصراع لتكون سورية مركز محيطها الجغرافي الطبيعي (سورية، لبنان، الأردن وفلسطين) في هذا الصراع في ضوء عوامل جيوبولتيكية توظف العوامل الآيديولوجية نسبياً في رحى الصراع العربي– الصهيوني، ونجد ترجمتها على مستوى العلاقة مع لبنان في قاعدتي (أمن سورية من أمن لبنان) وقاعدة(شعب واحد في دولتين)، فعندما وقعت لبنان اتفاقية سلام مع (الكيان الصهيوني) برعاية أمريكية عام 1983، تمّ الغاؤها بعد أقل من عام تحت ضغط سوري، مع محاولة السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية ومنع اللاجئين الفلسطينيين من إعادة توطينهم، كذلك الحال مع الأردن التي لاتحتاج الى الدرس نفسه الذي تعلمته لبنان فمجرد إعترافها بـ(الكيان الصهيوني) أثار حفيظة سوريا وكاد يعرضها لمخاطر محدقة.

سوريا تعتبر نفسها طرفاً أساسياً في أي مفاوضات مع (الكيان الصهيوني) وأن حل القضية لايكون بتجزئتها كما أعلن ذلك صراحةً وزير الدفاع السوري السابق في عهد الرئيس حافظ الأسد مصطفى طلاس بالقول : (**ماهو مهم على الإطلاق في أي مؤتمر دولي للسلام هو حضور الرجل الذي يكون قادراً على منع إنحراف أهداف مؤتمر السلام وهذا هو رئيسنا حافظ الاسد**)، الأمر الذي أعلنته سوريا دائماً وعلى نطاق واسع بأنّه **" لايمكن أن يكون هناك سلام من دون سوريا"** ومما زاد من تمتعها بمركز قوي في الساحة الفلسطينية دعمها للتيارات الاسلامية المتمثلة بحركتي حماس والجهاد[29].

(28) نقلًا عن ..المصدر نفسه، ص 276 .

(29) أحمد يوسف احمد (وآخرون) : كيف يصنع القرار في الانظمة العربية، مصدر سبق ذكره، ص 287 .

وأزاء تعثر مسيرة المفاوضات السّورية مع (الكيان الصهيوني) قبل حدوث إختراق على المسارين الفلسطيني والأردني وتوقيع إتفاقيات سلام، بدأ لاول مرة ذوبان الجليد في مسار التسوية ولاحت تباشير عدة خطوات على المسار السوري وإن لم تتجاوز إطار سبر المواقف، لكن تواصل أعمال العنف الصهيوني جعل الإستراتيجية السورية تركز على وحدة المسار اللبناني – السوري بإتباع إستراتيجية مواجهة تجاه الكيان المعتدي من خلال حزب الله في جبهة جنوب لبنان[30] التي أُعتبرت في التفكير الجيوسياسي جزءاً من الجبهة السورية وهو ما أرغم اسرائيل على الإنسحاب من جنوب لبنان في ايار 2000، بهدف التخلص من الإستنزاف الذي سببته المقاومة ولفسخ وحدة المسارين التي تهددها استراتيجياً وأمنياً للتفرغ لمواجهة سوريا وحرفها عن مسارها ودورها الإقليمي، وهو ما أظهرته حرب تموز عام 2006[31]*، بعد التوصل الى نتيجة وقناعة لدى صناع القرار الصهاينة بعدم امكانية ضمان أمنها دون التوصل لإجراء تسوية شاملة للنزاع، بمعنى وجوب إقامة دولة فلسطينية والتّوصل الى حل سلمي مع سوريا، ويتوقف نجاح تلك التسوية على إعادة مرتفعات الجولان المحتلة الى السّيادة السورية والإعتراف الصهيوني بالحق العربي في أراضيه .

من عمق هذه الحيثيات وادراك صانع القرار الروسي لاهمية سوريا في المنطقة انطلاقا مما سبق، يبقى السؤال متمحورا على ماهية الاهداف الاستراتيجية التي تطمح روسيا لتحقيقها عبر البوابة السورية ؟ بدءا من رؤية روسية لوجود عسكري في سوريا يعزز قدراتها على بناء ترتيبات اقليمية تشكل مرتكزا لطموحها العالمي نحو تعزيز قوتها لمنافسة الغرب وانتهاءا بها كوسيلة للإندماج في النظام الدولي .فروسيا تمتلك رؤية استراتيجية طموحة داخل سوريا لكنها تواجه اشكالية تتعلق بغياب الانسجام بين تلك الرؤية من جهة وقدراتها الكفيلة بتحقيقها من جهة اخرى . ان النشاط السياسي الروسي كانت له نتائج بارزة في المنطقة بعد سنوات من التهميش عن العمليات الدولية

ماهية الاهداف الاستراتيجية التي تطمح روسيا لتحقيقها عبر البوابة السورية ؟

(30) ثُبت موقف مؤتمر مدريد للسلام 1991 كأساس للتسوية على الاعتراف عموماً بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية من جهة مقابل السلام بين البلدان العربية واسرائيل والذي يضمن الاعتراف بهذه الدولة واقامة علاقات دبلوماسية كاملة وغيرها من العلاقات، انظر .. يفجيني بريماكوف : حقول الغام السياسة، مصدر سبق ذكره، ص 232-233

* بدأت إسرائيل حرباً على ثلاث جبهات، لبنان والضفة وغزة راح ضحيتها الف شخص من المواطنين العزل اضافة الى تهديم الاحياء السكنية في بيروت وغيرها من المدن والجسور والطرق في اطار عملية لمكافحة الإرهاب

(31) . ينظر .. أمين محمد حطيط : حرب 2006 على لبنان ..خلفية وأداء ونتائج، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، 2006، ص 1 ومابعدها .

الرئيسية، في محاولة لتغيير موقفها وإستعادة دورها المحوري على السّاحة الدّولية[32]. رغم إنّ بداياتها تكللت بالفشل لملء الفراغ الذي غادرته واضطرت لقبول الدرجة الثانية في التّفاعلات الدولية بعد مدة من عدم اليقين في سياستها الخارجية، وقد سنحت الفرصة لتغيير هذا الوضع مع تولي الرئيس فلاديمير بوتين السلطة، والذي في عهده أصبحت السياسة الخارجية أكثر تحدياً للغرب وحزماً الى جانب عرض للقوة الروسية والاستفزازت المستمرة . وقد تمثل المسار الذي إختاره الرئيس بوتين لتنفيذ هذه السياسة، المقاربة المزدوجة للتحديات بالتعاون مع النظام الغربي[33]، مع ميزة الإستباقية في المجتمع الدولي، وقد حصلت هذه السياسة على دعم الشّعب الرّوسي والذي تأثر الى حدٍ كبير في اتجاه " القوى العظمى" التي تروج له بعض القيادات الايديولوجية التي استفحلت في اوساط النخب الروسية، والتي تجمع بين تقليد الامبريالية الروسية مع مفهوم الجيوسياسية السوفياتية، بارتكازها على نهج أكثر حزماً في العلاقات الدولية مثل المعارضة القوية بعد توسع حلف الاطلسي شرقاً أو ضم مناطق الإتحاد السوفيتي السابق الى الإتحاد الاوربي وحلف الأطلسي و معارضة الضغوط الديمقراطية داخل الإتحاد الروسي، فيما إتسمت هذه السياسة بالسّمات التّالية[34]:

1- إستخدام روسيا أدوات غير متماثلة (سياسية، اقتصادية، وحتى عسكرية) لتنفيذ سياستها الخارجية لكنها حققت نتائج ملحوظة بالنسبة الى روسيا زاد من نفوذها في الساحة الدولية .

2- خلق ثورة في السياسة الخارجية الروسية والعمل على المبادرات الدبلوماسية لتحسين مناخ العلاقات الدولية .

3- مجموعة مجالات للتعاون بين الولايات المتحدة وروسيا رافقه الحصول على الفوائد والتنازلات الامريكية في مقابل تغيير روسيا لسياستها بشأن العديد من القضايا الهامة للغرب عبر دمج روسيا في النشاط الدولي جنباً الى جنب مع الدول الغربية .

نقطة التحول الجديدة ظهرت بعد مدة من التعاون مع الغرب في إطار برنامج « إعادة تعيين روسيا « على مفترق طرق، وهي عملية ديناميكية

(32) Zui Magen& Olena Bagno-Moldovsky: New Direction In Russia's Foreign Policy Implication For the Middle East, No.4, Texas, Strategic Assessment Research ,November,Vo.13, 2011,p64.

(33) Zui Magen& Olena Bagno-Moldovsky: New Direction In Russia's Foreign Policy Implication For the Middle East, op.cit,p75.

(34) Ibid,p76.

كان يجري التحضير لها في روسيا بشأن ايجاد حلول جديدة لتشكيل وجه مستقبل النّظام الدّولي والمكان المناسب للإنطلاق منه (**فيما أُثيرت الشكوك حول الحكمة من المسار السياسي في روسيا الذي وضح علناً طموحها لتحقيق مركز قوة عظمى تنافس للحصول على مكانتها العالمية بعد سنوات من العزلة**)[35]، فيما أُجبرت روسيا على المناورة بين مصالحها العالمية والإقليمية، وبين صورة شريك جدير للغرب لاغنى للنظام الدولي عنه، عِبر إعتماد صيغة جديدة لنشاط سياسي هدفه الأكبر يتمثل بالحد من النفوذ الغربي . وتعزيز مبدأ التعاون مع جميع اللاعبين الاقليميين من أجل إكتساب ميزة واضحة كعنصر فاعل ومؤثر يوازن ويتوسط اللاعبين بسبب قدرتها على الدخول في حوار مع جميع الأطراف في المنطقة متفوقاً على الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الأطراف المنافسة .

(35) يفجيني بريماكوف : حقول الغام السياسة، دمشق، دار الفكر، 2008، ط1.، ص 267 .

إعتماد صيغة جديدة لنشاط سياسي هدفه الأكبر يتمثل بالحد من النفوذ الغربي . وتعزيز مبدأ التعاون مع جميع اللاعبين الاقليميين

الى جانب ذلك عملت القيادة الرّوسية على دعم الجهود الأمريكية التي اعتقدت بأنها لاتخلو من النفع بالنسبة لتحريك عملية السلام، مارسّ الدور الرئيسي في ذلك كلاً من الرئيس فلاديمير بوتين ووزير الخارجية الحالي سيرغي لافروف ونائبه ألكسندر سلطانوف وغيرهم من رجال وزارة الخارجية اضّافة الى الدّبلوماسي المخضّرم يفجيني بريماكوف،فأثناء محادثات الرئيس بوتين مع رئيس الحكومة الصّينية « ون جيباو»، طرحَ فيها موقف روسيا من الفكرة الامريكية حول اجراء لقاء في انابوليس للتسوية الفلسطينية – الاسرائيلية في 5 من نوفمبر/ تشرين ثاني عام 2007 بالقول:(**نحن نؤيدها بصفتها خطوة اولى نحو عقد مؤتمر دولي واسع حول الشرق الأوسط ن ونحن ندعو العرب وخاصة سوريا الى المشاركة فيه، ونحن على اتصال دائم مع جميع الاطراف التي يمكن ان تشارك في هذا اللقاء، مع مختلف اطراف المواجهة في فلسطين، ومع اسرائيل، ومع القوى السياسية المختلفة في لبنان وسوريا**)[36]، سوريا التي اعلنت موقفها بصدد المشاركة في أنابوليس لكنه لن يكون برئاسة رئيس الجمهورية، بينما صرح الرئيس السوري الاسد عن

(36) نقلًا عن ايفجيني بريماكوف، المصدر السابق، الصفحة نفسها .

الموقف السوري من المشاركة:(**إنّ سوريا مستعدة لبدء مفاوضات حول التسوية مع اسرائيل لكن في الفترة الاولى فقط بمشاركة طرف ثالث، أما في موسكو فنحن على استعداد للجلوس إلى طاولة واحدة مع الاسرائيليين**)[37]، إنّ دمج روسيا في النشاط الدولي جنباً الى جنب مع الدول الغربية بما في ذلك عملية السلام في الشرق الأوسط يقع ضمن سياسة توزيع الأدوار في المنطقة بين الشركاء المتنافسين، ويشمل هذا النشاط مبدأ التعاون مع جميع اللاعبين الاقليميين من أجل إكتساب ميزة واضحة كعنصر فاعل ومؤثر يوازن ويتوسط بقية اللاعبين فيما يرى البعض أنّ هذه السياسة بمثابة إعلان واضح وصريح للدعم الروسي لسوريا من جهة ودفع لعملية السلام الى الأمام من جهة أخرى .

لقد أكدّ الرئيس السابق ديمتري ميدفيديف، عند إستلامه للسلطة، على أهمية الدور الروسي في دفع عملية السلام وإقتراح وساطة روسية موازية للوساطة التركية، كما ركزّ على أهمية ابتكار الحلول السياسية لقضية الاحتلال الإسرائيلي وتفعيل آليات تخدم الحل السياسي وتؤدي الى تجنب الحلول العسكرية[38].

نمط هذه السياسة وتحالفاتها الإقليمية له أهمية خاصة بالنسبة الى روسيا التي تحاول توظيف بعضها بما يتلاءم مع مصالحها الاستراتيجية في المنطقة والأقرب الى إحتمال استمرار هذه السياسة ضمن هذا الإتجاه، إذ أنّ إعداد المسار السوري اللبناني برعاية روسية كان من شأنه تفعيل عملية السلام مع إسرائيل في العام 2010، والذي عدَّ مجرد استمرار منطقي لفترة عملية بناء التحالفات الإقليمية الثنائية . إذ أنّها أعدت بناء صيغة جديدة لتعزيز السلام ومعالجة مشاكل المنطقة مما أظهر المزيد من التطورات في السياسة الخارجية الروسية باستخدام أحد رقع الشطرنج المتبقية لديها للدخول للمنطقة بعد فشل دخولها عبر بوابة الصراع[39]، الأمر الذي أسهم في إعطاء انطباع بأن «الروس قادمون» وأن محاولات إحياء الدور الروسي في المنطقة أمر لا مفر منه ولا يحتاج لجدال[40]. غير أنّ تطورات الأحداث السياسية الأخيرة في بعض البلدان العربية وماجرى الاصطلاح على تسميته «الربيع العربي»

(37) جاك جوزيف أوسمي : السياسة الروسية في الشرق الاوسط .. دوافع التدخل، اسباب النجاح وعوامل الضعف، العربية نيوز، 18 تشرين الأول 2013، ص 2.
http://www.inews-arabia.com

(38) بشار نصر عيسى : ميدفيديف .. زيارتي لسوريا تفعيل التعاون مع حليف، صحيفة الوطن السورية، دمشق، 11 من ايار/مايو 2010 .

(39) Zui Magen & Olena Bagno : : New Direction In Russia's Foreign Policy Implication For the Middle East op.cit,p80.

(40) باسم راشد : المصالح المتقاربة : دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي، اوراق، العدد 9، مكتبة الأسكندرية، الأسكندرية، 2013، ص 11 .

أجلت بعض التحركات بينما سعت في الوقت نفسه لايجاد بدائل سريعة مع محور سوريا عبر إيران وحزب الله، فلطالما برزّ الدّبلوماسيون الرّوس ميزة إحتفاظهم بعلاقات جيدة مع هذه الأطراف مما عزز دورهم كوسيط، على العكس من دور الحكومات الغربية، بالقول :(**إنّ سياستهم تسمح للحكومات الغربية بأن يكون لها موطيء قدم في المفاوضات مع تلك الأطراف)**[41]، فالروس وجدوا أنّ دور الوساطة مغرياً، فهو يتيح لهم الإضطلاع بدور عالمي مؤثر وبشكل خاص أثناء المفاوضات، ثم أنّ دور الوساطة يمكِّن الروس من إتخاذ موقع جيد للتلاعب بالتوترات بين الأطراف المختلفة لصالح مصالحهم القومية عبر السعي للحفاظ على دور روسيا في عملية السلام العربية - الإسرائيلية كعضو في اللجنة الرباعية[42]*.

إنّ التّردد الذي أظهرته الولايات المتحدة حول الأحداث السورية في مواجهة التشدد الروسي، أظهر صورة أمريكا الضعيفة والعاجزة أمام المجتمع الدولي والرأي العام الأمريكي، فيما أتت الموافقة السورية على نزع سلاحها الكيمياوي وتدميره كعامل جديد منحَ روسيا أوراقاً جديدة في عملية إحياء الدّور الرّوسي العالمي وحماية مصالحه القومية ومكانته الدولية، ترافق ذلك مع تقديم روسيا لصورة جديدة مغايرة عن الصورة النّمطية في النظام الدولي، صورة الحليف الذي يقاتل مع حليفه في خندق واحد[43]، على العكس من الصورة التي قدمتها البراغماتية الأمريكية التي تقترح ترك الحليف الخاسر ليلقى مصيره . هذه الصورة الجديدة لشريك الغرب الذي لاغنى عنه قد يسهم في تغيير نمط التحالفات القائمة في الشرق الأوسط والتي اصبحت ضمن دائرة الاهتمام الشديد لمراكز صنع القرار في روسيا، لأسباب يتعلق بعضها بالأمن القومي الرّوسي .

يتوضح لنا مما سبق، إنّ في استمرار الأزمة مصلحة لإسرائيل، التي ستحصل بموجب هذه التطورات على جار شمالي ضعيف . مع استمرار جمود السلام السوري – الاسرائيلي وحتى في ظل تطورات الازمة والتي قد تنتهي برحيل النظام السياسي الموجود حاليا سيكون من الصعوبة توقع موافقة النظام السوري الجديد على التوصل لاتفاقية سلام مع اسرائيل في المستقبل القريب .

(41) نقلًا عن ...جاك جوزيف اوسي : السياسة الروسية في الشرق الاوسط .. دوافع التدخل، المصدر السابق، ص 2 .

* اللجنة الرباعية تتضمن، الولايات المتحدة الامريكية، الاتحاد الاوربي، روسيا والامم المتحدة .

(42) ينظر .. يفجيني بريماكوف : العالم بدون روسيا، مصدر سبق ذكره، ص 265.

(43) ينظر ..جاك جوزيف أوسي : السياسة الروسية في الشرق الاوسط .. دوافع التدخل، مصدر سبق ذكره، ص 3 . وكذلك : احمد ابو زيد وبلال عبد الله : الموقفان الروسي والصيني وازمة كيمياوي الاسد، معهد الدراسات العربية، سبتمبر /ايلول 2013 على الرابط: http://studies.alarabiya.net

المحور الثاني : الرؤية الروسية للدور السوري على المستوى الدولي

بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي، وخسارة روسيا لموقعها العالمي كأمبراطورية رأى العديد من المتابعين صعوبة تحديدالاتجاه الذي ستسير عليه هذه الامبراطورية المفككة، هذا الواقع جعل بول كندي يذهب الى حد القول :(**بالنسبة الى روسيا لايوجد سوى شيء واحد مؤكد وهو وجود عدد كبير من الامور غير المؤكدة)**[44]، وربما كان من ضمن الامور الكثيرة غير المؤكدة شي أكيد إنها لازالت تمتلك إمكانيات الدول الكبرى التي تسمح لها بالاستمرار كلاعب رئيسي يمكنه التأثير على مستقبل أمن القارة الاوربية والاسيوية وغيرها من المناطق إذا ما ارتأت ذلك. فالجميع يدرك ان مخرجات هذه المعركة التي تخوضها روسيا داخلياً سيكون لها اثر عميق وربما ستحدد مصير كثير من المسائل الإستراتيجية في أوربا واورآسيا والعالم كله، وفي هذا الإتجاه نجد هنري كيسنجر، مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق، يُعيد بحث المخاوف الغربية والأمريكية من إنبعاث روسيا الجديد بالقول: (**يتوجب على الغرب ان يحاول إقناع روسيا بالتّخلي عن مطلبها بالهيمنة على جيرانها . فإذا أصبحت روسيا مرتاحة في حدودها الحالية، ينبغي ان تتحسن علاقاتها مع العالم الخارجي سريعاً . لكن إذا ما أنتجت الإصلاحات روسيا قويّة عائدة الى سياسة السيطرة – كما يخشى جيرانها- فلا مناص من العودة إلى توترات الحرب الباردة)**[45].

ورغم تأرجح روسيا بين وضعية القوة العالمية ووضعية القوة الجهوية إلا إنها لاتزال تحتفظ بعنصر القوة الذي لعب دوماً الدّور الاساس والحاسم في تشكيل وتوسع الدّولة الرّوسية منذُ عهد بطرس الاكبّر، وحافظ على وجود هذه الدولة والمتمثل بقوتها العسكرية[46]، وهو السّبب الذي دفع للأخذ بالإتجاه الاوراسي في بناء روسيا لسياستها الخارجية ومعارضة التوجه الأوربي– الاطلنطي كأساس تم الأخذ به بعد تسلم الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسين للسلطة الذي على أثره تعرضت روسيا لانتكاسة أضعف من مكانتها بعد انهيار الإتحاد السوفيتي .

(44) نقلًا عن.. -زهير بو عمامة : أمن القارة الأوربية في السياسة الخارجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة، بيروت، منشورات زين، الجزائر، منشورات الوسام العربي، ط1، 2011، ص 476 .

(45) هنري كيسنجر : هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية جديدة، ترجمة : عمر الايوبي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002، ص 70 .

(46) المصدر السابق، ص 480 .

إنّ نهاية التنافس الآيديولوجي لا تعني إطلاقاً نهاية التنافس الجيوسياسي، فالولايات المتحدة الأمريكية إعتمدت على سياسة تعمدت فيها عزل روسيا الفدرالية وتقليص دورها الى أبعد الحدود، وسياسة الولايات المتحدة في جمهوريات آسيا الوسطى تقدم لنا صورة واضحة لهذا التوجه . فرغم زوال التناقض الآيديولوجي بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بانهيار الإتحاد السوفيتي، ورغم وجود مصالح وتفاهمات مشتركة بينهما، إلا أنّ التناقض الحضاري والمصلحي لايزال قائماً بينهما وعلى أثر ذلك فان الصّراع الدّولي سوف يستمر بينهما والذي سيكون أكثر وضوحاً في مناطق المجال الحيوي الروسي[47]، واذا ماكانت ولادة النظام الدولي المتعدد الاقطاب ومؤشرات هذه الولادة قد ظهرت بقوة في تصريحات الزعماء والقادة، وفي أبحاث المفكرين والخبراء في السنوات الاخيرة، إلا ان المقدمات تشير الى عوامل أكثر جذرية يمتد بعضها الى سنوات طويلة، وفي سياق رصد هذه العوامل يمكن الإشارة الى الآتي :

الولايات المتحدة الأمريكية إعتمدت على سياسة تعمدت فيها عزل روسيا الفدرالية وتقليص دورها الى أبعد الحدود

1- اندلاع الازمة المالية للنظام الرأسمالي العالمي في خريف 2008، زعزعت النظام الرأسمالي العالمي على الصعيد الاقتصادي، لتمتد آثارها الى النظام السياسي الدولي، نظراً للارتباط الوثيق بينهما، واصبح واضحاً أنّ الغرب لم ينجح – على أي من الصعيدين- في فرض سيطرته التامة منذ اختفاء الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية على المشهد العالمي، بما في ذلك فرض قواعد اللعبة، طبقاً للفهم الغربي لها، والأمريكي بشكل خاص.

2- تراجع حصة الدول الغربية إقتصادياً، سواء كانت الأوربية او كندا لمصلحة دول البريكس، وهيمنة الغرب على النظام الدولي طيلة ثلاث قرون كانت تعبيراً عن هيمنة الغرب الاقتصادية على العالم نظراً لتطورها الاقتصادي، ومع تراجع الهيمنة في ظل هذه التحولات لابد ان تنعكس على مكانة الغرب السياسية ودوره القائد للنظام الدولي

(47) نورهان الشيخ : روسيا وأوسيتا الجنوبية .. توازن جديد للقوى الدولية، مجلة السياسة الدولية،العدد 174، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات ، اكتوبر / 2008، ص 112

3- الدور الريادي الذي لعبته بعض دول المنطقة إثّر وقوفها ضد المحاولات الغربية لفرض شروطها واملاءاتها من أجل تعزيز هيمنتها على المنطقة بدءأ بدورها من الحرب على العراق ولبنان وصولاً الى سوريا، والتي لعبت الأزمة فيها دوراً في تسريع ولادة النظام الدولي متعدد الاقطاب لاسيما بعد استخدام كل من روسيا والصين للفيتو لأكثر من ثلاث مرات، وتعطيل قدرة الولايات المتحدة والدول الغربية على فرض املاءاتها واستمرار هيمنتها طوال العقدين الماضيين.

روسيا في تقديرها لأهمية سوريا ومكانتها، جعلت منها منطلقاً لسياستها الخارجية في المنطقة، وبقدر اهميتها ومكانتها تكمن خطورة التداعيات التي تلم بها، حتى باتت تعدّ تطوراً مفصلياً ومتغيراً رئيسياً في تحديد مستقبل المنطقة وتوازناتها، وأحد أبعاد المخاض الصعب للنظام العالمي الجديد الذي شهد القرن العشرين بداية تحولات النظام الى آخر متعدد القوى ذات صبغة آسيوية واضحة[48]. فروسيا تدرك ان ما تم تحقيقه من نتائج مرحلية في سوريا عمل على تسويق قدراتها ومكانتها في مقابل تهميش الدور الامريكي وأفول بريق نموذجه منذ منتصف العقد الماضي في ضوء التأثير الكبير لمشكلاتها الاقتصادية الداخلية والفشل النسبي لتدخلاتها الخارجية خاصة في العراق.ورغم ان السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا قد واجهت جملة من التحديات التي اثرت فيها وانطوى عليه ذلك من تهديدات كبيرة للمصالح الروسية في سوريا وخاصة السياسة الامريكية التي تقع في صدارة التحديات الكبرى التي تعرقل تحقيق اهداف السياسة الخارجية الروسية وبشكل خاص حل الازمة السورية كما إنها تمثل عائقا في طريق السيناريوهات التي وضعتها روسيا لحفظ مصالحها في المنطقة عامة وفي سوريا بشكل خاص. فمقاربات السياسة الخارجية الامريكية التي فضلت عدم تحدي روسيا وافساح المجال لها لاداء دور محدد يتصل بمحاربة الارهاب وموازنة النفوذ الايراني والتركي في سوريا، غير ان حجم المصالح والرهانات الكبرى على نتيجة الصراع الداخلي في سوريا وشدة الاستقطاب والتنافس الاقليمي اوجدت حالة جديدة تمثلت باعادة اصطفاف للقوى

(48) نورهان الشيخ : سوريا وميلاد النظام العالمي الجديد، السياسة الدولية، يناير 2013، ص2، على الرابط: Digital.ahram.org.eg/articles.aspx?

تبدأ من الداخل السوري لتصل الى عواصم القوى الكبرى في النظام العالمي وهذا يؤكد على طبيعة عمق التصور والرؤية الروسية للدور السوري في تحقيق مكانتها العالمية او باعتبارها مرتكز اساسي للتنافس العالمي.

تزامنت هذه الرؤية مع ظهور الاختلالات في تصاعد ميزان القوى الاقتصادية لصالح الدول الآسيوية لاسيما في ضوء الأزمة المالية التي كادت تعصف بالكيان الأوربي الموحد، في الوقت الذي تتصاعد قدرات دول أخرى مثل روسيا والصين وغيرها من القوى الآسيوية الهامة والفاعلة إقليمياً والراغبة في لعب دور مؤثر في إطار نظام دولي أكثر توازناً وعدالة، ورغم صعوبة قدرتهاعلى فرض أجندة عالمية تحدد هويتها، غير إنّها تستطيع تحجيم وإعاقة الدّور الأمريكي في مواقف عدة عُدت الأزمة السورية الأبرز بعد أن شهدت استقطاباً حاداً بين قوى دولية واخرى أقليمية، الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي وتركيا وقطر والسعودية من ناحية، وروسيا والصين تدعمهما كل من ايران وحزب الله من ناحية اخرى[49]، مع إدراك جميع الأطراف إنّ مخرجات هذه الأزمة سيكون لها أثر عميق وربما قد تحدد مآل كثير من المسائل الاستراتيجية في الشرق الأوسط والتي على إثرها سيتحدد الموقف الروسي المتمسك بموقفه حتى نهاية الأزمة في مصير المنطقة، خاصةً أذا علمنا أنّ أي نهاية سلمية للأزمة تعني دخول روسي جديد للمنطقة، وهو دور يحسب لها، لتبقى حقيقة أكيدة وهي أنّ روسيا الدولة الوحيدة في اوربا والعالم التي تملك من القوة ما يمكنها من التأثير بشكل حقيقي وجدي على الإستراتيجية الأمريكية في اوربا وآسيا وعلى أي هندسة أمنية تريد امريكا املاءها، والحفاظ على تلك القوة في هذا المجال الجيواستراتيجي الحيوي بالنسبة اليها أمراً بالغ الأهمية، والحديث موصول بمنطقة الشرق الأوسط وسوريا تحديداً .

تتصاعد قدرات دول أخرى مثل روسيا والصين وغيرها من القوى الآسيوية الهامة والفاعلة إقليمياً والراغبة في لعب دور مؤثر في إطار نظام دولي أكثر توازناً وعدالة

(49) نورهان الشيخ : سوريا وميلاد النظام العالمي الجديد، مصدر سبق ذكره، ص 2.وقارن مع د. وليد محمود عبد الناصر : المعادلات الجديدة .. تحولات موازين القوى في النظام الدولي، مصدر سبق ذكره، ص 80 .

الخاتمة :

يتأتى الإهتمام الروسي لسوريا إنطلاقاً من البعد الإستراتيجي لها كمفتاح مهم في منطقة الشرق الأوسط، ولأنَّها شريك روسيا والضامن المتبقي للحفاظ على مصالحها في المنطقة . فمماتقدم يوضح لنا الرؤية الروسية لسوريا ليس وليد صدفة وانما بدات بشائرها تتوضح منذ العام 1992، وقد تم اختبار الفرضية والتي إنطلقت من أنّ تداعيات الأحداث والمجريات السياسية في الساحة الدولية بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي وهيمنة القطبية الأمريكية، كانت هي الموجه الأساس للسياسة الخارجية الروسية وتعاظم الدور السوري في تحقيق مصالح روسيا، خاصةً بعد إدراك صانع القرار الروسي للحيّف الذي لحق بروسيا وموقعها كقوة عالمية لها مكانتها ونفوذها . ولإستعادة دورها السابق بدأ القادة الروس يعوون أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه سوريا كأحد المرتكزات المهمة وعنصر ضامن للإستقرار في المناطق القريبة من حدودها في غرب آسيا (مجالها الحيوي)، والذي يضمن تواجدها كلاعب أساس في السياسة الدولية ونقطة إنطلاق للقوة الروسية من جديد.

قائمة المصادر:

أولاً : الكتب

1- أحمد يوسف احمد (وآخرون) : كيف يصنع القرار في الانظمة العربية، تحرير: نيفين مسعد، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

2- السيد أمين شلبي : من الحرب الباردة الى البحث عن نظام دولي جديد، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ط1 .

3- ايمانويل تود : ما بعد الامبراطورية، دراسة في تفكك النظام الامريكي، ترجمة : محمد زكريا اسماعيل، بيروت، دار الساقي، 2003.

4- رايموند هينوش : سورية ثورة من فوق، ترجمة د. حازم نهار، مراجعة : رضوان زيادة، ط1، بيروت، رياض الريس للنشر، 2011 .

5- س . غ لوزيانين : عودة روسيا الى الشرق الكبير، ترجمة هاشم حمادي، دمشق، دار المدى، ط1، 2012.

6- محمد عبد القادر : استراتيجية التفاوض السورية مع إسرائيل، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1999، ط1.

7- هادي قبيسي : السياسة الخارجية الامريكية .. بين مدرستين المحافظية الجديدة

والواقعية، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008 .

8- هنري كيسنجر : هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية جديدة، ترجمة : عمر الايوبي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002.

9- عقيل سعيد محفوظ : سوريا وتركيا : الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009 .

10- يفجيني بريماكوف : حقول الغام السياسة، دمشق، دار الفكر، 2008، ط1.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

1- وائل محمود الكلوب : دور الارهاب في السياسة الخارجية الامريكية نحو بلدن الشرق الاوسط بعد احداث 11 من سبتمبر (2001-2009)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الشرق الاوسط، عمان، 2011 .

ثالثاً: الأبحاث والدراسات:

1- أمين محمد حطيط : حرب 2006 على لبنان ..خلفية وأداء ونتائج، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، 2006 .

2- باسم راشد : المصالح المتقاربة : دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي، اوراق، العدد 9، مكتبة الأسكندرية، الأسكندرية، 2013 .

3- محمد سلمان ابراهيم : المشروع الصهيوني بين واقع الوجود وحتمية السقوط، مجلة الفكر السياسي، العدد 32، سنة 11، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، خريف 2008 .

4- نورهان الشيخ : روسيا وأوسيتا الجنوبية .. توازن جديد للقوى الدولية، مجلة السياسة الدولية،العدد 174، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات ، اكتوبر / 2008 .

رابعاً:المو اقع الالكترونية والصحف

1- الرئيس بشار الاسد لصحيفة سعودية على الرابط التالي: /www.syria-news.com readnews.php?sy

2- احمد ابو زيد وبلال عبد الله : الموقفان الروسي والصيني وازمة كيمياوي الاسد، معهد الدراسات العربية، سبتمبر /ايلول 2013 على الرابط: http://studies. alarabiya.net

3- بشار الجعفري، مؤتمر صحفي في جنيف على اثر مؤتمر جنيف الثاني الخاص بالازمة

السورية، قناة الاخبارية السورية في 22 من يناير/ كانون الثاني 2014، إنصات شخصي .

4- بشار نصر عيسى : ميدفيديف .. زيارتي لسوريا تفعيل التعاون مع حليف، صحيفة الوطن السورية، دمشق، 11 من ايار/مايو 2010 .

5- جاك جوزيف أوسي : السياسة الروسية في الشرق الاوسط .. دوافع التدخل، اسباب النجاح وعوامل الضعف، العربية نيوز، 18 تشرين الأول 2013 . http://www.inews-arabia.com

6- صحيفة القدس : الاسد يعرب عن استعداه للمساعدة في حل الازمة اللبنانية، لندن، 29 من مارس 2008 . على الرابط: www.alquds.com/news/article/view/id/13523

7- قناة روسيا اليوم في مقابلة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، 2012.على الرابط التالي: http://arabic.rt.com/news/g18096

8- نورهان الشيخ : سوريا وميلاد النظام العالمي الجديد، السياسة الدولية، يناير 2013، ص2، على الرابط: Digital.ahram.org.eg/articles.aspx?

المصادر الاجنبية:

1- Camilla Committer : When Domestic Factors Prevail: upon Foreign Ambitions Russia's Strategic Game in Syria, Working Papers , ISSN, No12,26 October, 2012.

2- Daniel Pipes: Damascus Courts the West (Syrian Politics 1989-1991) , policy paper, Washington Institute For East Policy, No.26, 1991 .

3- Talal Nizameddin: Towards National Foreign Policy : Russia and the Middle East 1991-1996, University of London , School Of Slavonia and east European Studies , 1997.

4- Tuguce Varal : The Russian Foreign Energy Policy , Kocani, European Scientific Institute , EGALITE , 2013.